سيمائية الاستلاب و المقاومة في رواية أجساد جافة

اعداد

د. أمل بنت محيسن القثامي

أستاذ النقد الأدبي المساعد – قسم اللغة العربية– كلية الآداب – جامعة الطائف

سيميائية الاستلاب و المقاومة
في رواية أجساد جافة

د. أمل بنت محيسن القثامي

أستاذ النقد الأدبي المساعد – قسم اللغة العربية– كلية الآداب – جامعة الطائف

ملخص: إن الغاية التي ترومها السيميائيات السردية في معالجتها للنص الروائي هي الدخول بعمق إلى عالم المعنى وتأويلاته و تفسير البناء النصي تفسيرا لا يقف عند شكله و بنيته المجردة، بل إلى ما يمكن أن تثيره وحداته و ما تفيض به تأويلاته، مع توظيف لكل الآليات السردية والتقنيات النصية التي تحقق ذلك. و هو ما ارتكز عليه هذا البحث في تحليلاته لرواية (أجساد جافة) للروائي عبد الله التعزي، بدءا من المستوى الخطابي إلى المستوى السردي، ثم وصولاً إلى المستوى العميق.

الكلمات المفتاحية: التأويل؛ الرواية؛ السيميائية؛ السرد؛ المعنى. **مدخل منهجي:**

من الصعوبة حصر حدود المفاهيم والنظريات المتعلقة بالسيميائية، ولاسيما أنَّ جلَّ الباحثين اتفقوا على أن السيميائيات علم استمد مبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللغويات والفلسفة أو المنطق وعلم النفس والأنثربولوجيا.[١] ولعل هذا قد أدى إلى تعدد المرجعيات النظرية، ومن ثم انعكس عليها بوصفها نظرية أو ما يشكل إطارا نظريا. فمن المعلوم أن نقاد السيميائية لم يتفقوا على ما يتضمنه مصطلح السيميائية.[٢]

و ظهرت عدة مصطلحات لها، فالأوروبيون يفضلون "مفردة السيمولوجيا التزاما منهم بالتسمية السويسرية، أما الأمريكيون فيفضلون مصطلح السيميوطيقا ، الذي جاء به المفكر والفيلسوف الأمريكي تشارلس ساندرنوبيرس. أما العرب- خاصة أهل المغرب العربي- فقد دعوا إلى ترجمتها بالسيمياء محاولة منهم لتعريب المصطلح."[٣]

وارتبط ظهور السيميائية في المشهد النقدي في بداية القرن العشرين بعالم اللسانيات فريديناند دي سوسير *Ferdinand de Saussure* الذي أعلن ميلاد علم جديد مهمته دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية[٤] كما أنه فصل بينها وبين اللسانيات، و قد عدَّ الأخيرة فرعًا منها. وتزامنًا مع ما يطرحه سوسير كان العالم الأمريكي شارل سندوس بورس ينادي بالسيميائيات، بوصفها علامة لفهم العالم، فهي ليست مجرَّد أدوات إجرائية جامدة إنما هي "تصور متكامل للعالم . ذلك أن الإمساك بهذا العالم باعتباره سلسلة لا متناهية من الأنساق السيميائية، أي بِعَدِّه علامات."[٥] ولعل أبرز ما أسس له بورس في النظرية هي (السيموز)، التي تعني الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها[٦]. وعليه فإن أهم ما تسعى إليه النظرية السيميائية في قراءة النص السردي هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة والمعاني و تأويلاتها. و تعميقًا لذلك فقد اشتهر بورس بتصوره الثلاثي للعلامة، التي تمثلت في الممثل والموضوع والمؤول، أي أن العلامة هي ماثل يحيل إلى موضوع غير مؤول.

وفي الستينيات من القرن العشرين "تطورت صياغة مبادئ السيميائيات من قبل علماء الروايات كغريماس وكوريتس، كما كان لبارت إسهامه الرائد في التنظير لهذا المنهج عن طريق كتابه "درس في السيمولوجيا" ثم عرفت السيميائية انفتاحًا على النظرية التأويلية مع إمبرتوإيكو، بما إنَّ شأنه أن يمنح القارئ مجالاً أوسع لإدراك المعنى والتأويل و استكناه أسرار العوالم الممكنة وفراغات النص. وغير ذلك من خصائص المنهج السيميائي."[٧] وهكذا يمكن عدُّ السيميائية منهجا يهتم بدراسة قواعد الأنظمة العلاماتية وسيرورتها، فهو عبارة عن « لعبة التفكيك والتركيب وتحديد

---

(١) انظر: الأحمر: فيصل ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط١ ، ١٤٣١ ، ص ١١

(٢) انظر : تشاندرير : دانيال ،أسس السيميائية ،ترجمة هلال وهبة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان ،ط١ ، ٢٠٠٨ م ،ص ٢٨ .

(٣) البازعي : سعد ،الرويلي : ميجان ،دليل الناقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط٣ ،٢٠٠٢ ، ص ١٧٧ .

(٤) بنكراد : سعيد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار ،سورية ، ط٢ ،٢٠٠٥ م ، ص ٩ .

(٥) بنكراد: سعيد، السيميائيات والتأويل ،مدخل لسيميائيات ، بورس.المركز الثقافي العربي ، بيروت ،٢٠٠٥ ، ص ٢٧ .

(٦) بنكراد : سعيد ،السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص ٣٣ .

(٧) العجلاوي : محمد ،النظرية والمنهج في النقد والقراءة وتحليل الخطاب ،دار الانتشار العربي ،بيروت ، ط١ ،٢٠١٦ م ،ص ١٦٤ .

البنيات العميقة الثانوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة دلالياً»[٨] .وهي كذلك « مجموعة من الدلائل تنتج فيما بينها مجموعة من العلاقات الاختلافية والتعارضية، حتى تقوم بتأدية وظائف دلالية متميزة بين مرسل ومتلق »[٩]. ومن ثم فيبدو أنَّ التحليل السيميولوجي استمد مفاهيمه في مباحثه الدلالية من اللسانيات[١٠]كما تبنى الإجراءات المنهجية البنيوية التي أرساها سوسير.وربما كل هذه الانطلاقات أسهمت في كشف ديناميكية النص في المنهج السيميائي عبر نوعين من القراءة، هما:

- القراءة الأفقية، أو السطحيّة : وفيها تقسم وحدات النص بغية الوقوف على معانيها المعجمية.

- القراءة العمودية ، أو العميقة : وفيها يتحوّل النص الأدبي إلى نص متعدد الدلالة بتعدد قرّائه، فهو في ذاته لا يحمل دلالة جاهزة ، بل هو فضاء دلالي لا ينفصل عن متلقيه[١١] .

٢. سيميائيات السرد:

اقتحمت السيميائيات - كغيرها من المناهج النقدية النصية- "عالم السرد والإبداع القصصي، مستخلصة رموزه وعلاماته، سابرة غوره ، مستخرجة مختلف التأويلات الممكنة ، لكنها مرّت قبل ذلك بتاريخ طويل ، استطاعت بفضله نفض التراث عن أهم نفائسه ، إلى أن استوت مناهجها وأدوات تحليلها وغزت مجال السرد حتى يومنا هذا »[١٢] .

وقد تجلى ارتباط السيميائية بالسرد مما دعا غريماس إلى تخطي ما قاله بعض الدارسين أمثال مونان بأنه يتعين على السيميائية أن تقف عند أنساق التواصل غير اللغوي، إذ يرفض غريماس هذا المنطق معتبرًا أن السيميائية تتيح للسانيات أن تتخطى المسائل النحوية وأن تعالج البِّنى الدلالية الخارقة للعنصر اللساني على نحو ما يتجلى في القصة والأسطورة والشعر[١٣] . وعلاوة على ذلك فإن غريماس ركز في منهجه على النص المسرود متجاوزا جهود جينيت في دراسة النص السردي التي ركز فيها على عملية السرد نفسها، أي الخطاب السردي و لاسيما جهوده في مصطلح التبئير .

و من الجهود التي أسست للسيميائية السردية ما طرحه ميخائيل باختين، حيث ذهب إلى رفض أساليب السرد التي تهمل الجنس الروائي كتحليل المؤلف والاتجاه الأدبي طارحا ما اشتهر به (الحوارية)، أي أن للرواية عدة مستويات ترتكز كل لغة فيها على إثارة بقية اللغات حواريًّا، إلى درجة أن يغيب المؤلف وسطها[١٤] . والحوارية الداخلية للكلمة الروائية تستلزم تبيان سياق الكلمة الاجتماعي المشخص الذي يحكم بنيتها الأسلوبية كلها. وشكلها ومضمونها ويحكمها بالإضافة إلى

---

(٨) العرابي : لخضر ،المدارس النقدية المعاصرة ،النشر الجامعي الجديد ،المغرب ،د.ط ،ص ٨٦ .

(٩) حنون : مبارك ،دروس في السيميائية ،دار توبقال ،الدار البيضاء ،د. ط ،١٩٨٧ م ،ص ٢١ .

(١٠) رولان : بارت ،درس السيميولوجيا ،ترجمة عبد السلام بنعيد العالي ،دار توبقال ،الدار البيضاء ،ط٤ ،٢٠١٦ م ،ص ٢٠ .

(١١) مينو: محمد محي الدين ، معجم النقد الأدبي الحديث ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ٢٠١٢م ، ص١٨١.

(١٢) الأحمر : فيصل ،معجم السيميائيات .ص ٢٠٧

(١٣) انظر:القاضي: محمد ، وآخرين ، معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ٢٠١٠ ،ص ٢٦٨.

(١٤) انظر : معجم السيميائيات ،ص ٢١٠ .

ذلك ليس من الخارج بل من الداخل.[١٥]

وقد استفاد غريماس من كل تلك الجهود ولكنه لم يقف عندها بل تجاوزها ولعل هذا ما أراده رائد السيميائيات السردية الذي لم يهمل المعنى وتأويلاته والمسافات التفسيرية للنص كما فعل الشكلانيون والبنيويون، بل وظف برامج سردية وتقنيات نصية تسعى إلى كشف التشاكل الدلالي والبعد التأويلي. ولأهمية ما جاء به غريماس في السيميائيات السردية فإن البحث ارتكز في تحليلاته لرواية (أجساد جافة) للروائي عبد الله التعزي[١٦] على هذا الطرح.

و ثمة أمر آخر تجدر الإشارة إليه، فالبحث سيتبع في دراسته السيميائية المسار التحليلي، فيبدأ من المستوى الخطابي إلى المستوى السردي وصولاً إلى المستوى العميق[١٧] إذ يُعد المسار التحليلي عملية أساسية في البحث، و به ندرك استراتيجيات العمل الروائي.[١٨]

٣. المستوى الخطابي :

يختلف المستوى الخطابي ضمن رؤية السيميائيات السردية عن الخطاب بمفهوم السرديات، فالخطاب هنا هو المستوى المرتبط مباشرة بعمليات الاشتغال التي تتم بين المستويات[١٩] كما يحصل فيه ضبط المسارات التصويرية التي تعد عنصراً مولداً لسلسلة من الأدوار الثيماتيكية، إذ إن الأمر يتعلق بانتقال يقودنا من المستوى السردي، الذي تكون فيه الحكاية أمامنا سلسلة من الحالات والتحولات، وتتأسس بوصفها بنية سردية إلى المستوى الخطابي بصفته استثمارا دلاليًّا لهذه البنية وشكلاً سيموطيقيًّا للمحتوى[٢٠]. والمستوى الخطابي يقوم على مكونين مهميَّن يسهمان في عمليات جرد التصورات وفهم دلالتها وهما: الدلالة الخطابية والتركيب الخطابي:

أ) الدلالة الخطابية :

المقطع الأول : (للأزواج الستة)

(كل أزواجي مُسِنُّون ، لم أفقد عذريتي، لم أنجب منهم، لا يملكون سوى أنفسهم وبقايا عظام مغطاة بالجلد، وجدت العجوز بجواري نائما، عندما أرى زوجي الأول قادما بثقل السنوات التي تدفعه إلي ببطء، وكأنه سينهار جالسا، كان زوجي الجديد طويلاً ويبلغ من العمر اثنين وثمانين أو ثلاثة وثمانين، كان نحيفا جداً يبدو و كأنه مريض، لا يملك أسنانا.)[٢١]

---

(١٥) فضل: صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٩٦، ص٣٨١.

(١٦) عبد الله التعزي ، روائي سعودي له ثلاث روايات ومجموعات قصصية فاز بعدة جوائز منها جائزة نادي مكة الثقافي الأدبي في السرد.

(١٧) انظر: أحمد عبد الرزاق ناصر (سجالية القوة والضعف دراسة سيميائية في روايات عبده خال) مطبوعات كرسي الأدب السعودي ، جامعة الملك خالد ، الرياض ، إذ أشار الدكتور أحمد عبد الرزاق لأهمية هذه المنهجية كما جاء في كتابه إشارة للدكتور رشيد بن مالك اتبعها أيضاً ط١ ، ١٤٣٦،ص ٢٦ .

(١٨) أحمد: عبد الرزاق ،سجالية القوة والضعف دراسة سيميائية في روايات عبده خال ،ص ٢٦ .

(١٩) المالكي: عبد الحكيم ،استنطاق النص الروائي من السرديات والسيميائيات السردية إلى علم الأجناس ،دائرة الثقافة والإعلام ،الشارقة ،ط١ ،٢٠٠٨ م ،ص ٦٤ .

(٢٠) أحمد الناصر ،سجالية القوة والضعف دراسة سيميائية في روايات عبده خال ،ص ٢٤ ، وانظر : مدخل إلى السيميائيات السردية ، سعيد بنكراد ، ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط١ ، ١٩٩٤ ،ص ٧٨ .

(٢١) انظر : رواية أجساد جافة ،عبد الله التعزي ،دار كلمات ،الشارقة ، ط١ ،٢٠١٧ م .

تمدنا هذه المقتطفات من الرواية بوحدات معجمية مثل:(مُسنون ، العجوز ، مريض، سينهار جالساً ، بقايا عظام) تؤلف هذه الوحدات صورة لرجال كبار في السن عاجزين متزوجين من فتاة صغيرة زواجاً قسريًّا. فالدور الثيماتيكي لهؤلاء الرجال يتمحور حول أنهم أزواج غير قادرين على الزواج إلَّا أنهم تزوجوا من فتاة صغيرة وبذلك فإن هذه الوحدات المعجمية تشير إلى صورة رجال عاجزين إلَّا أنهم ملكوا سلطة الارتباط بفتاة صغيرة.

ولا يقف النص السردي على هذا المسار التصويري للأزواج بل تناثرت خلال السرد وحدات معجمية من مثل (لقد كانوا أزواجاً أغنياء، زوجي الأول كان من عمَّال شركة أرامكو، زوجي يمتلك المال إلَّا أنه تردد كثيراً في إيصال الكهرباء، كان زوجي الخامس يملك أربع عمائر كبيرة) تحيل كل هذه المسارات التصويرية إلى صورة واحدة تمثلت في رجال أغنياء أي أنهم يملكون سلطة المال .

وتتعالق الوحدات المعجمية السابقة مع وحدات أخرى من مثل (بقيت عذريتي معه إلى أن مات، كنت أدركت مدى مباهاته أمام أصدقائه بزواجه من امرأة صغيرة، كلهم كانوا يهربون من سنواتهم التي أثقلت قلوبهم ليتزوجوني). هذه الوحدات المعجمية تكشف عن طبيعة الرجال (الاستغلالية) فهي تحيل بلا شك إلى صورة الاستحواذ والاستغلال الذكوري فهم عاجزون عن القيام بمهام الزواج الضرورية، ومع ذلك تزوجوا بفتاة تصغرهم سنا حتى يباهوا بذكوريتهم.

المقطع الثاني : (المسار التصويري للأب)

يختص هذا المقطع بالمسارات التصويرية الخاصة بالأب حيث نجد له في الرواية جملة من التصويرات من مثل (بعد وفاة والدتي بأسابيع تزوج والدي، ثم تزوج مرة أخرى، وبعدها بثلاث سنوات تزوج الثالثة، في أوقات كنت أتساءل حول وفرة النساء في حياة والدي) فكل تلك التصاوير تحيل على دور ثيماتيكي للأب هو أنه رجل مزواج غير مهتم بطفلته الصغيرة. إلَّا أننا نلحظ في بعض المسارات التصويرية حضوره بصورة الأب الحريص على ابنته ولكن حرصه جاء بعدما كبرت وشعر أمامها بتأنيب الضمير تقول الساردة :(رتب لي كل أموري المالية ، فتح لي حساباً في البنك، تولى تأجير البيوت التي ورثتها).

ومن الصور التي حضر بها الأب في الرواية: (أشعر بأن والدي ضحية نسائه القاسيات وضحية لرغباته ولكنه والدي الذي يشعرني دائماً بأني ما زلت ابنة الثلاثة عشر عاماً، نساؤه الثلاث كن دائمات الخلاف ولكنهن يتفقن عليّ دائماً لا أعرف كيف أقنعن والدي بتزويجي في تلك السن الصغيرة، عندما نظر إليَّ والدي، وهو في شك من موافقتي السريعة على العريس الثالث، كنت أعرف أنه مدفوع إلى ذلك من قِبل زوجته الثالثة، استمر الزن على والدي حتى رضخ لهن وهو يلعنهن في نفسه). فهذه المسارات التصويرية للأب تؤلف توظيفا ثيماتيكيا آخر له. فهو رجل ضعيف الشخصية أمام زوجاته، منعدم الرأي، فوظيفته (منقاد) وليس قائدا و ربا للأسرة. وضعف شخصيته جعل زوجاته يستغللن سلطته كأب في تزويج الفتاة الصغيرة.

المقطع الثالث : المسار التصويري لـ(سعدية / البطلة) :

(جرى الزواج دون أن أدرك أنني تزوجت ، عمري كان ثلاث عشرة سنة أو أقل، اشتقت إلى اللعب في الخرابة وعندما تحدثت مع زوجي عن رغبتي هذه انفجر ضاحكاً، أصبحت أرملة كما قيل لي وأنا في الخامسة عشرة من العمر، كنت أرغب في اللعب مع صديقاتي وإخوتي الصغار، ولكنهم منعوني فاكتفيت بوضع كل عرائسي داخل إحدى شنط الدبش ودسست واحدة تحت فستاني، ربطتها حول فخذي حتى لا تسقط فيسمع سقوطها أحدهم فيأخذها مني) .

تُحيل هذه الوحدات المعجمية(لعب، ثلاث عشر سنة، عرائسي، اللعب في الخرابة، تزوجت

دون أن أدرك) المنتظمة في المسارات التصويرية السابقة على صورة لفتاة صغيرة زوجت مبكرا، و يؤدي تكثيف المسار التصويري لها توظيفا ثيماتيكيا هو(الضحية)، وبذلك ألفت المسارات التصويرية للممثل (سعدية) تشكيلا خطابيا واضحا، وهو الفتاة الصغيرة التي فقدت حياتها وشبابها لظروف الاجتماعية، مرَّ بها المجتمع المحلي، و لاسيما في فترة قلة الوعي بتزويج القاصرات وما تبع ذلك من آثار نفسية، وقعت هذه الفتاة على أثرها ضحية لتلك الظروف.

وفي موطن آخر من مقاطع الرواية نلحظ بعض الجمل التصويرية كـ(بعد أن يأخذ الأعشاب يتمدد لنصف ساعة دون أن يعرف أين هو، وكنت خلالها أتلمسه وأضع عرائسي بجواره، أخرجت كل عرائسي الصامتة تلك صففتها أمامي ورحت أحدق فيها، إنه من أجمل عرائسي التي لعبتُ معها في حياتي ولن أنساه أبداً، كلما رأيته مقبلاً أشعر بأن لعبتي الحقيقة أتت، أكون قد انتهت من وضع العرائس بجواره). هذه الجمل تحيل إلى وحدات معجمية من مثل(أتلمسه، أضع عرائسي، صففتها، لعبت معها، لعبتي)، وهي بدورها تحيل إلى مسارات صورية تدل على فتاة صغيرة تتسلى برص عرائسها بجوار أجساد أزواجها، وهذا المسار هو الآخر أفضى فيما بعد إلى تشكيل خطابي حال على (المقاومة) فهي تلعب بالعرائس محاولة أن تحول أجساد أزواجها إلى لعبة تحركها وتتلمسها كما تشاء، وفي ذلك إشارة لمحاولة مقاومة الواقع الصعب الذي تعيش فيه الفتاة.

المقطع الرابع:

- (لي ستة أسماء بعدد الأزواج الذين قتلتهم

- تناقلت الحارة بأنني قاتلة صغيرة لرجل كبير.

- باتت أخبار قدرتي على قتل الأزواج مؤكدة.

- كانت زوجة والدي تقسو كثيرا في اختياراتها، و لكنها في النهاية تفاجأت بكثرة المال الذي أجده بعد قتلي لهم.

- زوجي الخامس أخبرني منذ اليوم الأول أنه أتى لكي يموت بين يدي كان مبتسما لي، وكأني أصبحت قاتلة محترفة .

- هذا الزوج الوحيد الذي كان موته مرتبا بطريقة دقيقة جدًّا حتى شعرت فيها –فعلاً- بأنني قتلته بلا رحمة).

كل هذه الوحدات المعجمية المنتظمة في مسارات تصويرية تشير إلى أن (سعدية / البطلة) تحولت إلى قاتلة محترفة استطاعت، أن تتخلص من أزواجها بطريقة سلسلة وبهذا فإن التوظيف الثيماتيكي الذي تقوم به هو (الانتقام).

ب) التركيب الخطابي :

يُعد التركيب الخطابي "أكثر المستويات المحسوسة ؛ لأنه الجزء الظاهر من الخطاب الروائي، فهو يمثل المرحلة الأخيرة من المسار التوليدي الذي ينقل التحليل من أشد العناصر بساطة إلى أشدها تركيباً"[٢٢] أي أنه يسعى إلى تنظيم السرد، وبذلك يُدخل "التركيب الخطابي طرائق التخطيب مع إدراج الفاعلين والفضاء والزمن داخل القصة"[٢٣].

([٢٢]) ناصر : أحمد عبد الرزاق (سجالية القوة والضعف دراسة سيميائية في روايات عبده خال) ،ص ٦٦ .

([٢٣]) شارلي: المصطفى ، السيميائيات نحو علم دلالة جديد للنص ، ترجمة: محمد المعتصم ، دار رؤية ، القاهرة ، ط١ ،٢٠١٥ م ،ص ٩٥ .

بنية الممثلين:

من الملاحظ أن الرواية تُسرد بلسان البطلة بضمير المتكلم وجميع الأصوات بداخلها تسير وفق هذا الضمير، وهذا يساعد على تحديد الممثلين وأدوارهم .

- الممثل: (الأزواج)

يظهر الأزواج الستة على مدار السرد في وحدات معجمية متعددة منها (كبار السن، تسلط، ظلم، مباهاة، عذرية، زواج، عاجزين جنسياً، طمع). وتحيل هذه الوحدات إلى دور ثيماتيكي هو كبار السن الذين يرغبون في الزواج، و مع توالي السرد تتوالد معاني أعمق لهؤلاء الرجال العاجزين. فبامتلاكهم سلطة المال وسلطة مساعدة زوجات الأب استطاع الأزواج الست الاستحواذ على موضوع القيمة الذي تسعى ذواتهم لامتلاكه وهو الزواج من سعدية، فتحولوا إلى جناة ظالمين بارتكابهم هذا الفعل.

- الممثل: (الأب)

من خلال مجموعة من الوحدات المعجمية كـ(زواج ، ضعيف الشخصية ، يحب النساء ، متزوج بثلاث نساء) نلحظ أن الأب في السرد يؤدي دوراً ثيماتيكياً واحداً وهو (المنفذ) فعن طريقه يتم تزويج (سعدية) بهؤلاء الرجال واحداً بعد الآخر.

- الممثل: سعدية

انمازت بمسار تصويري واضح حوَّل دورها الثيماتيكي إلى (ضحية) فمن السرد نلحظ مدى قوة الممثلين الآخرين على تغيّر مسار حياتها وأحداثها. فيتم تزويجها وهي لم تتجاوز الثالثة عشرة. كما ورطت في سلسلة زيجات، وهذا الفعل دفعها فيما بعد إلى تغير مجرى الأفعال للتحول من ضحية إلى دور ثيماتيكي آخر أدى إلى تعميق خطابها،وهودور(المقاومة المنتقمة)؛فنجد التحول الذي أصابها ترك أثرا دلاليًّا لعمق الفكرة التي من أجلها بنيت الرواية.

٤. بنية الفضاء : (المكان والعنوان)

تُسرد رواية "أجساد جافة"بضمير المتكلم على لسان البطلة (سعدية) متكئة فيها على الحدث الرئيس،وهو استلاب ستة أزواج كبار في السن لحياتها وطفولتها حين تزوجوها، وهي ما تزال طفلة. حضر المكان فيها معززا للحكاية بدوائر واسعة، بدأت بمكة المدينة التي ولدت فيها وتربت بها على يد جارية والدها، مكة التي عرفت بيوتها الجواري والعبيد، واستعباد بعضهم لهؤلاء. و قد حضرت مكة في ذاكرة سعدية في صورة فضاء مؤطر بالألم في أغلب الأحوال، حيث شهدت ذاكرتها معاناة العبيد كما شهدت لحظات فرح إعتاقهم، وحضرت مكة / المكان في الرواية في البيوت التي سكنتها سعدية مع أزواجها، فهي ظلت حبيسة لتلك البيوت طيلة حياتها.

كما تعرض الرواية لمكان مغلق آخر وهو (الخرابة). حيث يُعد مكونا أساسيا في السرد. حيث كثيرًا ما تشير الساردة إلى أن هذا المكان هو منبع ذاكرة الطفولة، ولا يقف هذا المكان على هذه الدلالة السطحية بل يتجاوزها إلى أن أصبح السند لها في مواجهة الحياة القاسية والظلم الذي تعرضت له حين استلبت طفولتها. فهذا المكان/الخرابة هو مصدر إمدادها بالعرائس التي كانت رمزاً لإنقاذها من موت الحياة بداخلها فهي ليست مجرّد لعبة، بل ظلت العرائس ترافقها في صورة جسد آخر حميم، يؤنسها من عذاب العيش الذي دُفعت له دفعا.

وبما أن العنوان يُعد نصًّا مصغرا يستهدف –ضمنيا- محاولة إفشاء سر الملفوظ الروائي،

وهو كذلك بنية اختزالية لمحتوى الرواية[٢٤]، فعنوان الرواية (أجساد جافة) يحتوي وحدات معجمية تفضي بمضمونها الضمني، فالوحدة المعجمية (أجساد) توحي بسمات نووية منها: (سكون، وجع، فناء ، موت) هذه الوحدة مضافة إلى وحدة أخرى هي(جافة) تستدعي هي الأخرى سمات نووية منها(ضمور، موت، جفاف، ضعف). فكل السمات النووية تتضافر لتولد دلالات تكشف مضامين الرواية وهي مقاومة الظلم المتمثل في محاولة البطلة رده، ومحاولة استعادة طفولتها المستلبة. فسياق الرواية – ضمنيا- ينتقد زواج الأطفال والقاصرات ويرفض الظلم الواقع على أثر هذه الظاهرة فالأجساد الجافة تحول الحياة -لا محالة – إلى جفاف وعذاب مستمر.

بنية التزمين:

منذ المقطع الأول من الرواية تحدد الساردة زمن حدث الرواية إذ تقول:"لي أسماء كثيرة ستة أسماء بعدد الأزواج الذين قتلتهم منذ أيام الملك فيصل إلى اليوم."[٢٥] فالمقطع تضمن إشارة زمانية مؤطرة فالأحداث التي مرت بها الساردة كانت أيام حكم الملك فيصل أي ما بين ١٩٦٠ - ١٩٧٥ م. كما تضمنت الرواية مزمنات أخرى، ارتبطت بعمر الساردة في عدة مقاطع:

- (أنا في الخامسة عشر من العمر ، كانت السنوات قد اختصرت أمام عيني .
- أصبح عمري ستة وعشرين عاماً ، أشعر أنني لم أتجاوز الثانية عشر من العمر .
- أصبحت في الخامسة والثلاثين من عمري ، ولكنني مستمرة في حمل تلك الطفلة التي عمرها لم يتعدَّ الثلاث عشرة سنة .
- أصبح عمري ستة وستين عاماً ، وثروتي ملايين كثيرة لم أكن أكترث بها) .

هذه الوحدات المعجمية تميل إلى مقومات سياقية تدل على نمو الخطاب الروائي، فالحكاية تتصاعد في زمن متتالٍ، وإن كسر رتابة التوالي استعمال الساردة لتقنية الاسترجاع، فهي تعود بالذاكرة لمواطن مختلفة من طفولتها. و لقد أسهمت كل هذه الأبعاد الزمنية في إظهار الأبعاد الاجتماعية في المجتمع المحلي، و لاسيما ما يخص أبرز حدث حصل في حكم الملك فيصل، وهو إعتاق العبيد، فهو وإن لم يكن الحدث الرئيس في الرواية فإنه مؤثر في سيرورة الحدث، إذ نجد الجارية (بشرى) التي تولت تربية البطلة سعدية كانت تدافع عنها وتهتم بها، إلَّا أنها فجأة وحين علمت بأمر العتق غادرت البيت، وتركت سعدية وحيدة؛ مما ترك أثرا نفسيًّا بداخل سعدية لم يزُل مع مرور السنين، تقول الساردة:(داخلي خوف وشعور بالفقد استمرا معي طوال عمري. كنت أحسب أن بيت والدي يعتمد –كليًّا-على أمّي بشرى، ولكني عرفت بأني مخطئة.)[٢٦]

٥. المستوى السردي:

يندرج في دراسة مستوى السطح، و هو مسؤول عن تنظيم العناصر التي تعدّ مفيدة، إذ يتولى تنظيم ما يربط بين الحالات والتحولات من علاقات تتابع وعلاقات تسلسل[٢٧]. كما أنه ينظم الملفوظات كي تحيل بعد التنظيم إلى مضامين. ولا يقف عند ذلك فحسب؛ بل يهدف إلى إظهار المضامين بأشكال خطابية قادرة على التعامل معها؛ لذا فهذا المستوى يتحكم في إنتاج

---

(٢٤) أشبهونة: عبد الملك ، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١١ م، ص ٢٢.

(٢٥) انظر: الرواية ،ص ١ .

(٢٦) انظر : الرواية ،ص ٧ .

(٢٧) انظر: معجم السرديات ،ص ٤١٧ .

الخطابات[٢٨]. وللوصول إلى المضامين السردية فإن المستوى السردي يتكون -أساسا- من المواضيع والعناصر التركيبية، وهي المتمثلة في الأدوار العاملية بكل ما يرتبط بها من عوامل[٢٩]. والنموذج العاملي أو ما يعرف بالبنية العاملية يُعد ركيزة هذا المستوى، إضافة إلى أن البرنامج السردي هو الآخر يدخل ضمن مكونات المستوى السردي، و هما على النحو الآتي:

أ) البنية العاملية :

يُعد النموذج العاملي بنية أساسية من بنيات النص بوصفه المنظم لحركة العلاقات بين العوامل المتعددة. فالعامل عند غريماس ليس الشخصية فحسب، بل يتجاوزه إلى الأشياء والكائنات والحيوانات والمفاهيم. وبذلك فقد خرج غريماس ببنية عاملية "تقوم على ستة عوامل تندرج في ثلاث علاقات، تقترب من ماهية النص السردي العام، على فرضية أن هذا النحو السردي هو سابق على التجلي الحسي للملفوظات. وهذه العوامل هي: المرسل والمرسل إليه، والفاعل والموضوع والمساعد والمعارض. وتأتلف هذه العوامل في ثلاث علاقات ثنائية: هي علاقة الرغبة وتضم المرسل والمرسل إليه، وعلاقة التواصل وتضم الفاعل والموضوع، وعلاقة الصراع، وتضم كلاً من المساعد والمعارض"[٣٠] . وفي سياق هذه المحاور تتضح الحال السردية ونمط تجليها:

- **البنية العاملية في الرواية :** بنية التسلط والاستلاب

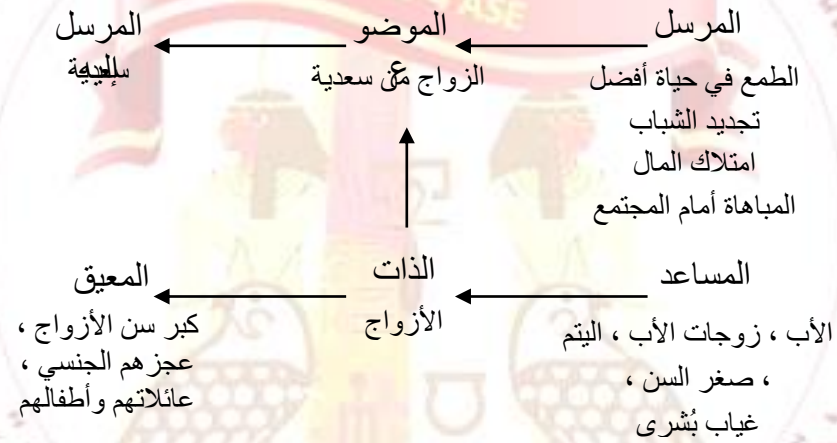

في هذه البنية التسلطية نلحظ أن الأزواج الستة الكبار في السن مثلوا في السرد (الذات) التي ترغب في موضوع محدد وهو(الزواج من فتاة صغيرة)، والظفر بها فكان المقوِّي لتلك الرغبة والدافع لها هو العامل المرسل حيث نجده يتمحور حول رغبة الأزواج في تغيير حياتهم والبحث عن حياة أفضل بالزواج مجددا، ولكن من فتاة صغيرة لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها كي يجددوا حياتهم و يعيشوا الاستقرار في نهاية عمرهم بين أحضان دافئة قادرة على رعايتهم. وكذلك من الدوافع لفعل الارتباط هو رغبة المباهاة أمام المجتمع، أنهم ما زالوا قادرين على الزواج وهم

---

(٢٨) انظر:غريماس ، الجبرداس ، في المعنى دراسة سيمائية ، تعريب: نجيب غزاوي ، مطبعة الحداد ، سوريا ، د.ط. ، ص ١٠٤ .

(٢٩) انظر : نوسي : عبد المجيد ،التحليل السيميائي للخطاب الروائي البنيان والتركيب والدلالة ، المدارس ، شركة للنشر والتوزيع ، المغرب ،ط١ ،١٤٢٣ هـ ،ص ١٥٦ .

(٣٠)الجبوري:محمد ، تجليات النقد السيميائي في مقاربةالسرد العربي القديم ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ص٣٨

في هذا السن، ولأن العامل المرسل إليه وهي(سعدية) الفتاة الصغيرة لا تملك رد هذا التسلط، فإن الذات كانت قادرة على سلب حياتها والظفر بها وهذا ما تلفظت به الساردة: (جرى الزواج الأول دون أن أدرك أنني تزوجت، عمري كان ثلاث عشر سنة أو أقل، اكتشفت أنني تزوجت عندما نهضت من النوم ووجدت العجوز بجواري نائما، وسط الظلام شعرت بأن الرعب ينزل عليَّ من السقف، وكأنني في منتصف كابوس. وبعد بضعة أيام أدركت أنني تزوجت وانتبهت لأشياء لم أكن أعرفها سواء في غرفة النوم أو المطبخ)[٣١] .

ويرجع تسلط الذات وحصولها على الموضوع إلى قوة العامل المساعد المتمثل في الأب، وزوجاته واليتم وصغر سن سعدية. فالأب كان عديم الشخصية أمام زوجاته الثلاث، و لاسيما الزوجة الثالثة، فقد استطاعت إقناعه بتزويج ابنته بالرّغم من صغر سنها. كما أن اليتم وصغر السن كانا عاملين مساعدين في تسلط الذات واستحواذها على الموضوع. فسعدية فقدت أمها وهي في الثانية من العمر،و تعمَّق ذلك بدور العامل المساعد في فقد سعدية لمربيتها (بُشرى)، فجأة بعد إعلان تحرير العبيد، تاركة خلفها فتاة صغيرة وحيدة . وهذا الفقد المباغت خلّف الخوف بداخل سعدية، وظل يرافقها طيلة حياتها و كان-كما ذكر- من أهم العوامل المساعدة لوصول الذات لموضوعها. تقول الساردة:(خرجت أمي بشرى من البيت ولم تعد إليه أبدا. لم أرها بعد ذلك في حياتي. لقد هربت من حياتي باكرا. لم يطلب أحد منها الرحيل ولم تسأل، بل رحلت بسرعة ودون أن تودع أحداً أو تأخذ شيئاً من البيت...داخلني خوف وشعور بالفقد استمر معي طوال عمري. لم يعد هناك أحد يهتم بما أحتاجه. فقدت حضنها الدافي.)[٣٢]

أما العامل المعوِّق فتمثل في كبر سن الأزواج وضعفهم الجنسي وخوفهم في بعض الأحيان من أولادهم وعائلاتهم. تقول الساردة:(طرق الباب أحد أبنائه الكبار ودلف بسرعة متجها نحو زوجي وخرجت أنا، ارتفعت حولي رائحة الخوف.. كان ولده قد خرج وهو في أشد حالات الغضب، لم أره بهذا الشكل من قبل.)[٣٣] وتقول في موطن آخر:(كان زوجي قد كتب أحد بيوته باسمي وهذا هو ما دفع بكل أبنائه للاعتراض وإرسال أحدهم لقتله)[٣٤]

وضمن البنية العاملية يدخل الأب في إطار هذه البنية، حيث يمثل ذاتا ترغب في موضوع (تزويج ابنته) بدافع داخلي، تمثل في محاولة تخليص(سعدية) من ظلم الزوجات و التخلص من كلام الناس وتوفير حياة مستقلة لها:(بعد سنة من ترملي آتى والدي ليحدثني عن زوجي الثاني وعمره وتفاصيل كثيرة عن حالته الميسورة...وكيف أني الآن امرأة تعيش وحيدة في بيتها وكلام الناس لا يتوقف حولها. لم أعرف ماذا يقصد بأن كلام الناس لا يتوقف ولكني بقيت في صمتي ووافقت في النهاية على الزواج مرة أخرى.)[٣٥] فللمرسل وظيفة فاعلة على الذات للوصول إلى تزويج سعدية، فقد شعرت الذات بأهمية الموضوع مما دفعه للاتصال به و تنفيذه، وساعده على تلك المهمة زوجاته وعادات المجتمع التي يجب أن تحترم وكلام الناس أيضا، إلَّا أن العائق في تلك المهمة في بعض الأحيان هو عاطفة الأبوة، التي تدرك من داخلها أن تزويج فتاة صغيرة يُعد ظلما لها، و في نهاية الأمر رضخ للوضع الاجتماعي الذي يُحتم إتمام هذا الأمر.

البنية العاملية لسعدية : **بنية الاستسلام :**

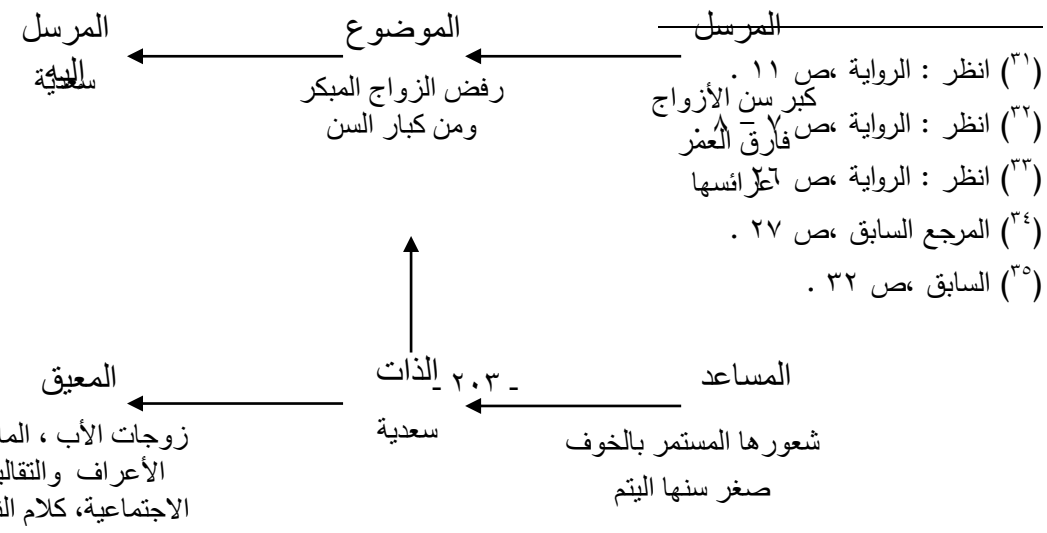

(٣١) انظر : الرواية ،ص ١١ .
(٣٢) انظر : الرواية ،ص ١٧ – ١٨
(٣٣) انظر : الرواية ،ص ٢٦ وما بعدها
(٣٤) المرجع السابق ،ص ٢٧ .
(٣٥) السابق ،ص ٣٢ .

يظهر من السرد أن هذه البنية انمازت بأنها تُبين الضعف والخضوع وعدم قدرة الذات ، المتمثلة في (سعدية)، التي لا ترغب في الزواج لصغر سنها وعدم معرفتها بالحياة الزوجية، فهي ترفض أن تكون مثل الجارية تباع وتشترى بالمال. هذه العلاقة بين الذات والموضوع لم تنجح على الرغم من أن المرسل كان عاملا قويا ومهماً،وهو فارق السن بين سعدية وأزواجها، كما أن ارتباطها بعرائسها الصغيرة واتصالها بالألعاب وحملها معها لبيت الزوجية يعمق قوة المرسل.

إن زوجات الأب والمال والظروف الاجتماعية كلها تعاونت في عامل العائق لتمثل دورا فاعلاً، حيث ظل العائق أقوى من المساعد في هذه البنية. فالمساعد للذات الشعور المستمر بالخوف، صغر السن، كلها كانت عوامل غير مجدية. فكان الصراع بينهما غير متكافئ مما رجح عدم ظفر الذات بموضوع الرغبة: (عرفت فيما بعد أن كل الخُطاب يدفعون لزوجة والدي الثالثة الكثير من المال بعد أن يتم الزواج بي)[٣٦] .

- بنية المجابهة والصمود :

تؤازر هذه البنية العاملية سابقتها رغما عن اختلاف السياقات من حيث المرسلين والمساعدين. فالذات واحدة ومواضيعها التي ترغب بها متشابهة. فالرغبة في عدم الزواج في هذه السن

(٣٦) الرواية ،ص ٤٧ .

الصغيرة هو ذاته رغبة في عيش الطفولة والعودة لها. ويشير السرد في الرواية إلى أن الذات (سعدية) في حالة انفصال عن الموضوع (الرغبة في العودة للطفولة والعيش بها). فعلى الرغم من رغبتها في الموضوع ولكنها لم تتحقق لقوة المعيق الذي تجسَّد في كونها انخرطت قصراً في عدة زيجات حوّلتها إلى أرملة والأرملة وفق الأعراف الاجتماعية من الصعب أن تعيش لوحدها، و بخاصة مع صغر سنها. فهذا الأمر فعَّل وظيفة زوجات الأب ليصبحن عاملا معيقا لوصول الذات لرغبتها فما كان منها إلَّا الصمود ومجابهة الأمر .

ولعل أهم ما في هذه البنية هو العامل المساعد، الذي حدده السرد وفق ما كانت تؤكد الساردة في مواطن متعددة: في العرائس من جهة، والتعليم والدراسة وحفظ القرآن من جهة آخرى. فالعرائس كانت عنصرا فعالاً في دعم الذات على مواصلة الصمود ومجابهة الفعل. إذ نجد الساردة تحدثنا أن الذات (سعدية) تلجأ لها ليس كوسيلة للتسلية فحسب، بل لمجابهة الخوف الذي يسكنها:(أتأمل عرائسي حوله. ثماني عرائس وفي أوقات تسع عرائس، و كثيراً ما كنَّ سبع عرائس، فقد أرتبك في عدهن كلما تداخلت السنوات مع الأحداث حولي.) ، و كذلك (أخرجت كل عرائسي الصامتة تلك. صففتها أمامي ورحت أحدق فيها كان بكائي حارقا. وألمي لا يهدأ. عددتهن أول الأمر وانتظرت أن يتحركن أو أسمع صوت حكاياتهن التي لا تنتهي.)

ولعل ما جعل العامل المساعد في البنية العاملية مهماً للذات هو أن الذات/سعدية كانت تعامل أزواجها كالعرائس في أغلب الأوقات، فنراها تجسد في السرد صورة التصاق جسد الأزواج بالعرائس حيث وضعها بجوار جسد أزواجها واللعب بها وتأملهم سوياً:(لقد جذب زوجي الرابع اهتمامي كله إنه من أجمل العرائس التي لعبتُ معها في حياتي ولن أنساه أبداً، يتحدث إلي في بعض الأوقات ثم يصمت ليمضي الوقت، وأكون قد انتهيت من وضع العرائس بجواره،وأكون قد لاحظت أنها باتت عرائس باهتة وصامتة، لم تعد تهمس لي بتلك الكلمات.)[٣٧]

وعلى الرغم من أهمية وجود العامل المساعد في السرد وتكرره في عدة فواعل فإنه لم يكن فاعلاً بالقدر الذي يحول حالة انفصال الذات عن موضوعها إلى حالة اتصال. فالذات ظلت تجابهه وتتحمل كل ما مرَّت به في سبيل مبتغاه. فيما يخص المرسل في هذه البنية وعلاقة التواصل مع المرسل إليه فإن الشعور بالظلم ومحاولة التخلص من عبودية العادات والأعراف الاجتماعية لاسيما حديث النساء وكلامهن، كان هو الدافع للذات لترغب في الموضوع. فسعدية تشعر بأنها أنثى سُلب منها حقها في الحياة، فلم تتمتع بأنوثتها وجسدها البكر:(لم تتركني نساء الحارة من لمزات وكلمات حاقدة... وأنا بدوري وبكل ما أملك من إغراء أنثوي بجسدي البكر وفرحي العامر بالحياة في سن الثالثة عشر وعناده لا أجد هذا مستغربًا، بل أعتبره مفروضا على كل نساء الحارة... وأعتبر نفسي متميزة بهذا الحسد الدائم. تمر أيام أود فيها سماع بعض كلمات القهر من نساء الحارة ولكنني أستعيذ من إبليس اللعين ناظرة إلى جمال جسمي المتناسق)[٣٨].

- بنية الانتقام :

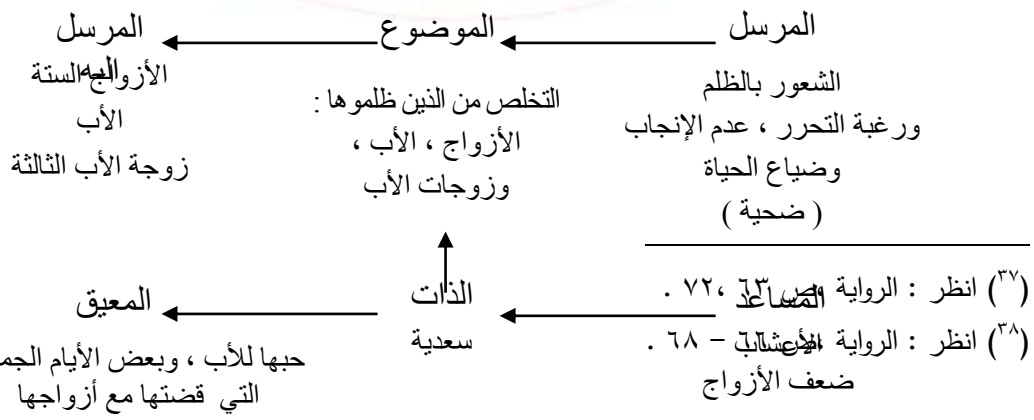

(٣٧) انظر : الرواية ص ٦٣، ٧٢ .

(٣٨) انظر : الرواية الأعشاب – ٦٨ .

كان الإحساس بالظلم وعدم الإنجاب وضياع الحياة في زيجات متتالية لم تخترها الذات / سعدية هو المحرّك والدافع لها للاتصال بموضوع التخلص من الذين ظلموها: الأزواج، والأب، وزوجة الأب الثالثة، حيث تلحظ أن العلاقة التواصلية بين المرسل والمرسل إليه كانت تشي بأن الذات/ سعدية تشعر بأنها ضحية تقول الساردة :(في آخر زيارة لوالدي سألني عن رغبتي في الزواج للمرّة السادسة ونظرات الأسف بادية عليه. لا أدري هل شعر بأنني ظلمت بزواجاتي السابقة من كبار السن !! لم أسأله وهو لم يقل، ولكنه لم ينظر إلى عيني مباشرة، لم يكن يرغب في رؤية ألمي منه.)[٣٩]وتقول في موطن آخر:(كنت أود أن أقول له أنني ما زلت عذراء .. كان زوجي السادس أرملاً في الخامسة والثمانين من العمر وقد أصبحت أنا و بصورة متداولة وشبه رسمية زوجة يحلم بها كبار السن.)[٤٠]

فالذات منذ لحظات السرد الأولى كانت تراودها فكرة التخلص من الأزواج، ولعلها فكرة مبطنة أساسها الانتقام من الظلم الذي تعرضت له على يد المرسل إليه، ويتجسد الانتقام في الحدث الأهم في الرواية وهو (قتل الأزواج و الأب وزوجة الأب الثالثة) ولكن هذا التخلص الذي حدث بالفعل في نهاية كل زواج لم يتم إلّا بعامل مساعد وهو (الأعشاب) فجاءت صور وضع (الذات / سعدية) الأعشاب في شاي أزواجها وتحويلهم ببطء شديد إلى أجساد جافة معبرة عن محاولاتها للاتصال بالتخلص. فالأعشاب-هنا- قامت بوظيفة مهمة وفاعلة في وصول الذات للهدف، و تسير الأحداث بتواتر واضح ومفهوم ونجد كل ذلك في مواطن متعددة في السرد منها قول الساردة: (انتابتني الوحدة معه كان شعور بالفقد يجتاحني دون شفقة... لذلك رتبت بدقة متناهية تعلمتها منه كيف أنهى حياته خلال السنتين القادمتين...هذا الزوج الوحيد الذي كان موته مرتبا بطريقة دقيقة، جدًّا حتى شعرت فيها فعلاً بأنني قتلته بلا رحمة.)[٤١] و في موطن آخر نجدها تقول: (أتذكر أنني بعدها أصبحت أتمنى أن يموت زوجي الرابع بأسرع وقت ممكن. كان جسده يبدو لي كجسد ثور لا يتحرك. والأعشاب التي ضاعفت كميتها راحت تمتعه وتجعله أكثر سكوناً من قبل هكذا حتى سكن جسده تماماً)[٤٢] .

وبذات السلاح (الأعشاب) استطاعت الذات الوصول لموضوعها الجوهري، وهو التخلص من الذين ظلموها. فها هي كما أُسلف تخلصت من أزواجها، ثم جاء دور الأب، حيث قررت قتله بالسلاح ذاته: (عندما رأيت والدي ممددا على سريره البارد، وقد جف جسده لم أتردد وقررت أن أبقى إلى جواره وبدأت مباشرة بإعطائه أعشابي المخدرة تلك ..لا أستطيع أن أتخيل أنني قتلته

([٣٩]) انظر : الرواية ،ص ٧٧ .

([٤٠]) انظر : الرواية ،ص ٧٨ .

([٤١]) انظر : الرواية ،ص ٨٧ .

([٤٢]) انظر : الرواية ،ص ٦٧ .

وأحياناً أتناسى قتلي إياه تماما.)(٤٣)

وكان العامل المساعد (الأعشاب) ناجعا- أيضا- في تخليصها من زوجة والدها الثالثة: (هوس الترتيب أعاد إلي حقدي على زوجة والدي الثالثة تلك. كنت أعرف طمعها وجشعها وحبها للمال بأي طريقة عندما جلست أمامي وأخبرتني بالصداع الذي يفتك برأسها أصبحت أمامي فريسة سهلة المنال.. كانت خلطة الأعشاب الأولى قوية، وهي البداية، كنت أصرف الخدم ولا أدخل أحدا إلى مجلس النساء بعد أن أقدم لها مشروب الأعشاب الساخن... وبعد ثلاثة أيام عادت تشتكي من الصداع وتطلب العشبة السرية التي أصنعها خلال ثلاثة أسابيع، لم تعد تقوى على الحركة، وأرسلت ابنها لكي يخبرني فذهبت إليها وأنا أحمل عرائسي و سنواتي الثماني والثلاثين، ولم أتركها حتى فارقت الحياة.)(٤٤)

وإنجاز الذات الموضوع الذي رغبت فيه يدل على أن العائق والمتُجسد في حبها للأب وحنينها لبعض الأيام الجميلة التي قضتها مع أزواجها لم يكن عائقا فاعلاً إنما تأثيره لحظي بدلالة اتصالها برغبتها وإنجازها للموضوع / الانتقام . وعليه فإن كل تلك البِنى العاملية المشار إليها سابقاً تحيل إلى أن البيئة العاملية الرئيسة للرواية تتمحور حول التخلص من الظلم ورفض قيود العادات الاجتماعية، التي صنعها الإنسان واستخدمها ضد الإنسانية كزواج القاصرات، هذه البنية حققت رؤيتها فالعوامل الراغبة في الاتصال بالموضوع القيمي تمكنت من هدفها.

ثمة ثنائية أخرى ذات صلة عميقة بالأولى، فطلب التخلص من الظلم والمتمثل في (رفض زواج القاصرات) في سياقاته تولد مطالبات الحرية / وفك قيد التسلط . وكل هذه الثنائيات تتضح في المستوى العميق الذي يكشف عن دلالات النص وتشاكلاته .

البرنامج السردي : (الخطاطة السردية)

يأتي البرنامج السردي - كما أسلفت - ضمن المستوى السطحي فهو"مركب بسيط داخل التركيب السردي السطحي، ويتشكل من ملفوظ فعل يتحكم في ملفوظ حالة"(٤٥)، أي أنه ينهض على تتابع الحالات والتحولات التي تترابط انطلاقا من علاقة بين ذات معينة وموضوع محدد وما يطرأ عليها من تحول.(٤٦) فالبرنامج يضم تحولات فعلية مترابطة، تسير في تراتب منطقي، لذا فهي تشكل نموذجا للتحولات الواقعة في الحكي .

وعلي ذلك.." فإن السير المقنن لكل حكي تصويري، لا يمكن أن يتحدد إلَّا من خلال إدخال مقولة مركزية في السيميائيات السردية وهي: التحولات و تعد الخطاطة السردية ... عنصرا منظما ومتحكما في التحولات فيما يبدو من خلال قراءة بسيطة لنص سردي تنافرا وتداخلا بين مجموعة من العناصر، يشكل في مستوى آخر بنية بالغة الانسجام والتماسك، ومن هنا فالخطاطة السردية تشكل نموذجا لكل التحولات الواقعية. وإذا كان كل نص سردي ينطلق من النقطة (أ) ليصل إلى النقطة (ب) فإن الانتقال من النقطة الأولى إلى الثانية لا يمكن أن يتم بطريقة اعتباطية. وتحدد الخطافة السردية بلحظات سردية تطلق هي:

أ - التحريك /التحفيز .

---

(٤٣) انظر : الرواية ،ص ٧٩ .

(٤٤) انظر : الرواية ،ص ٨٥ – ٨٦ .

(٤٥) بنكراد: سعيد ، السيميائيات السردية ، دار الحوار ، سورية ،ط١ ، ٢٠١٢ م ، ص ١٢٧ .

(٤٦) انظر : معجم السرديات ،ص ٥٠ .

ب - الأهلية .

جـ - الإنجاز .

د - الجزاء .

وهذه اللحظات تبين لنا كيف يبني المبدع متخيله السردي، وكيف انتقل من ملفوظات الحالة إلى ملفوظات التحول"[٤٧] . و وفق قراءتنا للرواية فإنها احتوت على برنامجين سرديين رئيسين يتخللها بعض البرامج الثانوية الداعمة .

- البرنامج السردي الأول في الرواية .

يتضح من خلال تسلسل السرد أن الذات الفاعلة (الأزواج الستة) يحاولون الاتصال بموضوع القيمة (الزواج من سعدية / الفتاة الصغيرة) حيث كانوا في حالة انفصال عن موضوعهم ويسعون للاتصال به. وللوصول إلى الاتصال الذي سيكون البرنامج السردي فيما بعد يحتاج هذا الاتصال إلى موضوع كيفي ويبني البرنامج السردي على عناصر مهمة هي:

١) **التحريك أو التحفيز / الإيعاز** .

تمتلك الذات الفاعلة (الأزواج الستة) القدرة على فعل الفعل ولاسيما وأن المرسل وهو الطمع في عيش حياة أفضل وبمعاونة المال يقوم بتحفيز الذات إلى إتمام الفعل، ولعل المرسل إليه له دور في إيعاز الذات بالاتصال، فهو لا يملك الإرادة اللازمة لرد اتصال الذات بموضوعها .

٢) **الكفاءة** : نلحظ من السرد أن الذات الفاعلة (الأزواج الستة) تمتلك الكفاءة (كينونة الفعل) للحصول على موضوع الرغبة (الزواج من سعدية) فهي متسلحة بالمال وسلطة زوجات الأب وضعف شخصية الأب، وصغر سنة الفتاة . ولمعرفة مدى وصول الذات لموضوعها علينا النظر إلى عناصر أربعة هي:

- معرفة الفعل: هل الذات الفاعلة لديها هدف وتعرف ماذا تريد ؟! منذ لحظة السرد الأولى تكشف الرواية أن الذات الفاعلة على معرفة بالفعل، فهي تسعى للحصول على الارتباط بالفتاة الصغيرة (سعدية) وهذا ما دفعها لبذل المال لزوجات الأب.

- إرادة الفعل: الأزواج لديهم إرادة قوية للوصول إلى الارتباط والزواج ، فهم يسعون بكل قناعة الإقناع الأب بالزواج من ابنته الصغيرة لذا توسلوا بزوجاته أيضا.

- وجوب الفعل: الذات تسعى إلى فعل الفعل وتحاول التصدي لكل العقبات التي تمنع إتمام ذلك خاصة فيما يخص علاقات الأزواج بأسرهم وعائلاتهم وأبنائهم .

- استطاعة الفعل: استحوذت الذات الفاعلة على موضوع الرغبة وحصلت على مبتغاها وارتبطت بالفتاة الصغيرة .

٣) الإنجاز: بما أن الذات تملك الكفاءة فإنها نجحت في الاتصال بموضوع الرغبة وتحقيق هدفها بمساعدة عوامل خارجية .

٤) الجزاء / الحكم: نجحت الذات في الاتصال بموضوعها بعد انفصال عنه، ولكن يبدو نجاحا مؤقتا؛ لأن رغبة الزواج تمت إلا أنه الزواج لم يستمر طويلاً ؛ لأن الذات المقابلة كان لها وظيفة فعالة في إفشاله وتغيير مساره.

([٤٧]) شقردوش: شادية ،سيرورة الدلالة وإنتاج المعنى قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر ،مطبوعات كرسي الأدب السعودي ،جامعة الملك سعود ،دار الجامعة ،الرياض ،ط ١ ، ١٤٣٧ هـ ،ص ٨ – ٩ .

ويدخل ضمن هذا البرنامج برنامج سردي ثانوي خاص بالأب فالذات الفاعلة (الأب) منفصلة عن موضوعها، وهو رغبته في تزويج ابنته الصغيرة (سعدية) والعناصر التي توضح بناء هذا البرنامج على النحو الآتي :

١) التحفيز: الذات (الأب) له قدرة على فعل الفعل والمرسل له دور تحفيزي كبير في اتصالها بمبتغاها ولاسيما وأن المرسل إليه (سعدية) يدخل ضمن نطاق تحكمه وسيطرته .

٢) الكفاءة. يمتلك الذات المؤهلات المهمة لإتمام الفعل: إرادة الفعل (تزويجها)، واجب الفعل (انقاذ ابنته من زوجاته)، معرفة الفعل والاستطاعة : الذات (الأب) على علم بالفعل، بل يرتب لكل الزواجات، وهو الذي يفاتحها ويتحدث معها حول ذلك. وهو –أيضا- قادر على إتمام الفعل لأن السلطة، بيده وقد استطاع في كل الزيجات الست إتمام الأمر.

٣) الإنجاز: الذات اتصلت بموضوعها بعد الانفصال. فاستحوذت على رغبتها وبعد الاستحواذ كان الانتزاع هو العنصر الأميز في الإنجاز حيث غيرت الذات الفاعلة (الأب) الذات الحالة (سعدية) وحولتها من الانفصال عن الزواج إلى الاتصال به .

٤) الحكم : في هذا المكون يتحقق الاتصال بالزواج فتقوم الذات / الأب بتزويج ابنته أكثر من مرة دون النظر لاعتباراتها في الحياة ومتطلباتها الجسدية كأنثى إذ نجد الساردة تحكي عن ذلك حينما تذكر أنها ما زالت عذراء وأنها لم تنجب قط وأنها لم تستمتع بأنوثتها وهذا كله بسبب ظلم والدها بتزويجها لرجال كبار في السن .

البرنامج السردي الثاني في الرواية:

البرامج السردية الخاصة بـ(سعدية)

تجد سعدية نفسها بعد هروب مربيتها (بُشرى) في حالة خوف شديد ولاسيما وهي لم تتجاوز الثالثة عشر من العمر ، وفي حالة مواجهة مستمرة مع زوجات الأب اللاتي يحاولن إقحامها في أشغال البيت تقول الساردة : (كان والدي مهتماً بأن لا أقوم بأي عمل من أعمال المركب ، وكثيراً ما يسألني وأنا في الثامنة من عمري عن أعمال المطبخ وهل قمت بها ... كنت أجيب بسرعة وأعود لتفحص الأشياء المهملة في البيت أتجاهل كل حفلات الخصام بينه وبين زوجاته فقد كن مصرات على تعليمي الطبخ والكنس وكل أشغال البيت . أما والدي فكان يقف لهن صائحاً هذه يتيمة ألا تخفن الله رب العالمين)[٤٨] .

هذا الواقع الذي حكاه السرد عن سعدية ولكي يخلصها والدها من عذاب زوجاته اختار تزويجها ولاسيما وأن هذه الفكرة موعزة من زوجاته ولها وقع التحفيز على ذاته إلَّا أن الذات الفاعلة (سعدية) ترفض هذه الفكرة وتقاومها ، ولمعرفة هذا البرنامج علينا الاستعانة بعناصره وهي على النحو التالي :

١) التحفيز : يقوم المرسل (الخوف ، كبر سن الأزواج) بوظيفة مهمة في تحفيز الذات للاتصال بموضوعها القيمي (رفض الزواج المبكر) إلَّا أن الفعل الإقناعي فشل بسبب قوة العوامل الأخرى كالعامل المساعد : صغر سنها ويتمها وزوجات الأب فلم يتم فعل الفعل:(أتزوج كي أتخلص من نظرات زوجات والدي وكلماتهن الحادة.)[٤٩]

٢) الكفاءة : لا تملك الذات الفاعلة المؤهلات الكافية لإمكانية الفعل رغم توفر إرادة الفعل ووجوب

([٤٨]) انظر : الرواية ،ص ٢٥ .

([٤٩]) انظر : الرواية ،ص ٦٩ .

الفعل إلَّا أن استطاعة الفعل منعها من الاتصال بموضوعها القيمي .

٣) الإنجاز: الذات(سعدية) فشلت في دفع الارتباط، وتزوجت و لم تتجاوز الثالثة عشر.

٤) الحكم/ الجزاء : البرنامج السردي لسعدية في محاولاتها السردية الأولى في رفض الزواج باء بالفشل رغم قوة المرسل إلَّا أن النتيجة كانت ضد الذات .

فقاد هذا الفشل (استسلام الذات الفاعلة / سعدية للواقع) إلى مرحلة أُخرى مع التطور السردي نجد الذات تخلق موضوعاً قيمياً آخر في محاولة منها للتخلص من الظلم فسعدية بعد تورطها في الزواج لا تقف مسلوبة الفعل ، بل تحاول المجابهة والصمود ، كما تحاول استرجاع الحياة وطفولتها المستلبة ، فهل هي قادرة على ذلك ؟

يتضح ذلك على النحو الآتي:

١) التحفيز : يحاول المرسل (الشعور بالظلم) حث الذات (سعدية) على الاتصال بموضوع رغبتها (استرجاع حياتها وطفولتها) فإرادة فعل الفعل هنا إرادة فاعلة ونوع الفعل هو تحفيزي يتجه من المرسل إلى الذات مباشرة وهذا ما جعل التحفيز ناجعا، لاسيما أن الذات الفاعلة استعانت بمساعدات كالعرائس، ومحاولة خلق جو من التسلية بتلك العرائس حتى تحين اللحظة المناسبة للتخلص.

٢) الكفاءة : تمتلك الذات (سعدية) إرادة الفعل وواجب الفعل فقد حاولت أن تتسلح بالدراسة والعلم واكتساب المال –أيضا- تقول الساردة :(التحقت بصفوف مدارس محو الأمية ... كنت أتقدّم في الدراسة باستمرار مُفرح أربكني ولكنه أيضاً دفعني إلى المواصلة بقوة حتى حصلت على شهادة الثانوية العامة.)[٥٠] ومعرفة الفعل حاضرة لدى الذات الفاعلة، فهي تجابه حياتها الراهنة باللعب مع العرائس، حيث اتخذتها كمعادل موضوعي لحياتها المسلوبة قصرا، أما ما يخص استطاعة الفعل؛ ففي أغلب السرد يتضح أن الذات الفاعلة كانت قادرة على تحويل العبودية التي تسكنها بفعل الزواج القصري إلى تحرر عن طريق الاستعانة بعوامل مساعدة.

الإنجاز: في فضاء السرد نلحظ أن الذات اتصلت بموضوعها، فعلى الرغم من الزيجات المتكررة وتحويلها إلى أرملة؛ فإنها تشعر بأنها مع كل مرحلة عمرية تتجاوزها ما تزال في (الثالثة عشر)، وإنها طفلة ترغب في الحياة والعودة للعب بعرائسها، لذا نجد تكرار مشهد حملها للعرائس و وضعها بجوار أزواجها واللعب بها حتى وهي في الستين من عمرها: (أصبحت في الخامسة والثلاثين من عمري، ولكني مستمرة في حمل تلك الطفلة، التي عمرها لم يتعد الثلاث عشرة سنة. لم أستطع أن أكبر... أصبح عمري ستة و عشرين عاما، أشعر أنني لم أتجاوز الثالثة عشرة من العمر...كنت لا أعرف كيف أجيب على كلماتهم، لذلك أكتفي بالصمت خوفا من أن يعرفوا جهلي، كنت أخاف أن يكتشفوا أنني طفلة عمرها ثلاثة عشر عاماً.)[٥١]

البرنامج السردي الأخير لشخصية (سعدية)

بعد أن استخدمت الذات (سعدية) أساليب لمواجهة مشكلة زواجها، والتصدي لاستلاب حياتها وصلت إلى أن أفضل طريقة لتحقيق ذلك هي التخلص من بؤرة المشكلة بقتل الذين أسهموا في ظلمها، وبذلك فالذات (سعدية) ترغب في الاتصال بموضوع التخلص من الظالمين، وقد جاءت عناصر هذا البرنامج على النحو التالي :

---

(٥٠) انظر : الرواية ،ص ٦٨ .

(٥١) انظر : الرواية ،ص ٦٢ ،٧٤ .

١) التحفيز: إن ملفوظات الحالة أي الملفوظات السردية منذ نقطة الانتشار الأولى في السرد تشير إلى رفض الذات (سعدية) للزواج المبكر، وهذا ما جعلها ترغب في موضوع (التخلص من الأزواج) وكذلك التخلص من الأب وزوجة الأب الثالثة، أي أن الذات ترغب في موضوع التخلص من الذين ظلموها فكان المرسل وهو رغبة سعدية في التحرر، واسترجاع حياتها هو الموعز لفعل الفعل .

٢) الكفاءة : ذات سعدية تتمتع بكفاءات عديدة منها :

- قوتها مقابل الضعف الجسدي لأزواجها، حيث تجاوزوا الثمانين من العمر.

- تملك سلاحا سحريا، وهي الأداة التي ساعدتها في القتل (الأعشاب) .

- العرائس التي تلهو بها، وحولتها إلى جهاز للمواجهة والتصدي للحياة الإجبارية.

- وللكفاءة عناصر أربعة تخبرنا بمدى نجاعة هذه الكفاءات:

- معرفة الفعل: سعدية لم تصل إلى هدف التخلص من الأزواج إلَّا بمعاونة إحدى الجواري، التي دلتها على بعض الأعشاب؛ التي تؤدي إلى تخدير الجسد، ثم بعد فترة من الزمن تؤثر في حياته وتؤدي إلى موته. وبهذا فإن الذات (سعدية) كانت على معرفة تامة بالفعل، فبعد أن جربتها مع زوجها الأول ونجحت في التخلص منه ظلت تمارس الفعل مع باقي الأزواج، وهي على دراية بما يؤول إليه الأمر: (في البداية كنت أخاف أن يكتشف زوجي السادس بعض الارتباكات في المساقة بين أشياء المطبخ، فيقوم بترتيبها، وسينتهي إلى اكتشاف الأعشاب ويسألني عنها، لن أعرف بماذا أجيبه، وعدت سريعا بعد أن وضعت الأعشاب كما هي عادتي ولكننا في ذلك الأسبوع لم نحلم بشيء، كان انهيار اللحظات لا يوصف، التصقت به وأبقيت جسدي دافئاً به إلى أن مات.)[٥٢]

- إرادة الفعل : لديها إرادة قوية للوصول إلى موضوعها والتخلص من أزواجها؛ لذا كانت تضع لهم العشبة في الشاي باستمرار وتخبئها في أماكن لا يصلون إليها ولا تخبرهم حين يسألونها عن هذه العشبة أي شيء فهو سر خاص بها :(كنت سعيدة بنسيان الحارة أمري ولم أتكلم مع أحد عن الأعشاب، دفنت كل ذكرياتي وعدت إلى بيت والدي.)[٥٣]

- وجوب الفعل: حين علمت الذات (سعدية) بأن الأعشاب لها مفعول سحري على زوجها الأول واستطاعت التخلص منه، استمرت في القيام بالفعل على أزواجها الآخرين بالطريقة ذاتها.

- استطاعة الفعل: توفر للذات معرفة الفعل وإرادته ووجوبه . كما توفر لها استطاعته، فقد استحوذت الذات على موضوع الرغبة. إذ استطاعت سعدية قتل أزواجها واحداً تلو الآخر دون أن يثبت عليها أي دليل.

وعلى الرغم مما شاع عنها بين الناس والرجال بأنها قادرة على قتل أزواجها ؛ فإن أحدهم لم يستطع إدانتها بذلك: (تناقلت الحارة بأنني قاتلة صغيرة لرجل كبير.. باتت أخبار قدرتي على قتل الأزواج مؤكدة، نساء كثيرات تحدثن عمّا يدور في الحارة من إشاعات وحكايات تتناول قدرتي السحرية على قتل أزواجي دون ترك أثر أو دليل إدانة، وكيف أني أستعين بالجن كي يكتموا أنفاسهم...زوجي الخامس أخبرني منذ اليوم الأول أنه آتى لكي يموت بين يدي...كان مستسلما لي،

([٥٢]) انظر : الرواية ،ص ٦٠ – ٨٣ .

([٥٣]) انظر : الرواية ،ص ٢٩ .

وكأنني أصبحت فعلاً قاتلة محترفة.)[٥٤]

٣) الإنجاز: اضطلعت الذات بدون الفاعلة وذات الحالة في هذا البرنامج فكان التحول من الانفصال إلى الاتصال تحولاً ذاتيا فاعلاً فاتصلت بموضوعها عن طريق التملك.[٥٥]

٤) الجزاء : النتيجة التي آل إليها الموضوع نتيجة إقناعية. فقد نجحت الذات في برنامجها السردي حين استطاعت سعدية التخلص من الظلم الذي وقع عليها، ورفضت القيود الاجتماعية التي تؤازر من تزويج القاصرات . هكذا فإن النص السردي أظهر البرامج السردية التي كوّنت المسار السردي للرواية، التي جاءت في برنامجين سرديين رئيسين هما : البرنامج الخاص بالأزواج الستة والبرنامج الخاص بسعدية. فيما يخص برنامج الأزواج فإن برنامجهم يتسم بالنجاح حين اتصلوا بموضوع الزواج إلّا أنهم فشلوا فيه حين استطاعت الذات المقابلة لهم (سعدية / الزوجة) انتزاع حريتها وفك قيودها بالتخلص منهم قتلاً . أما البرنامج السردي الخاص بسعدية فقد اتسم بالفشل من حيث محاولاتها رفض الارتباط وعدم قدرتها على تغيير الواقع ولكن في نهاية البرنامج الثانوي لها استطاعت أن تقلب الموازين وتنجح في التخلص من الظلم عن طريق التخلص من أزواجها .

٦. المستوى العميق :

يرى غريماس أنه من الضروري"التمييز بين مستويين من التحليل مستوى ظاهري تخضع فيه النصوص إلى المواد اللسانية الخاصة، ومستوى محايد يشكل جذعًا بنائيًّا تقوم عليه السادية وتنظم قبل تجلياتها."[٥٦] أي أن "السيميائي في تعامله مع النص الحكائي أو السردي يدرس في المستوى السطحي البرنامج السردي ومكوناته الأساسية كالتحفيز والكفاءة والإنجاز والتقويم مع التركيز على صبغ الجهات ودراسة الصور.. وعلى المستوى العميق يدرس المكون الدلالي والمكون المنطقي باستقراء التشاكل والمربع السيميائي الذي يولد التمظهرات النصية السطحية سرداً وحكيا، ويقوم هذا المربع السيميائي على تشخيص علاقات التضاد والتناقض والاستلزام. ومن خلال الاختلاف والتناقض والتضاد يولد المعنى في أشكال تصويرية مختلفة ويتمظهر على مستوى السطح بصيغ تعبيرية مختلفة ومتنوعة."[٥٧] . وعليه فإن المبحث سيرصد التشاكل (محاور التواتر) والمربع السيميائي، والمستوى التأويلي.

التشاكل (محاور التواتر):

ارتبط مفهوم التشاكل سيميائيا بالسؤال عن العناصر التي تنبثق منها وحدة النص وانسجامه الدلالي[٥٨] فقراءة النص تشعر بوحدة خفية تقود إلى بنية عميقة خلف البنية السطحية. و بذلك يسعى التشاكل إلى"إبراز نمو الخطاب الروائي وتواله، ذلك أن الخطاب حينما يحدد إطاراً متشكالا، فإن مقاطعه الأخرى تنمو وتتمدد اعتماداً على هذا الإطار الأولي، حيث يتميز الخطاب بتراكم قسري

---

(٥٤) انظر : الرواية ،ص ٢٩ ،٤٣، ٦٩ .

(٥٥) إذا اضطلع ممثل واحد بدوري الذات الفاعلة وذات الحالة فنقل الصلة بينهما وبين موضوع القيمة من الانفصال إلى الاتصال سميت العملية تملكاً . انظر : معجم السرديات ،ص ٣٩ .

(٥٦) الجبوري : محمد ،تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ، ط١ ،١٤٣٧ هـ ،ص ٤٤ .

(٥٧) كورتيس : جوزيف ،مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ،ترجمة : جمال خضري ،الدار العربية للعلوم ،بيروت ،ط١ ،١٤٢٨ هـ ،ص ١٢ .

(٥٨) نوسى : عبد المجيد ،التحليل السيميائي للخطاب الروائي ،ص ٩١ .

لمجموعة من الوحدات المعجمية التي تتأطر ضمن نفس الإطار الأول ، لكنها تنتظم داخل مسارات تصويرية هي التي تؤدي إلى تصوير البرامج السردية والمسارات السردية لعوامل السرد. وتعمل هذه الوحدات المعجمية في انتظامها داخل المسارات على توليد مقومات سياقية متشابهة، مما يحقق على مستوى الخطاب مجموعة من التشاكلات»[٥٩] .

التشاكل على مستوى الرواية :

تقودنا السيمات النووية في المقطع الأول من الرواية (كبار السن، مال، ظلم، زواج، مباهاة، طمع) -التي جاءت في السياق التصويري للأزواج الستة -إلى سمة نووية هي (الاستلاب) التي نتجت عن امتلاكهم السلطة. كما نجد على امتداد المقطع الثاني من الرواية سمات نووية لكل السياق التصويري للبطلة (سعدية) من مثل (طفلة، قاصر، يتيمة، ضعف، فقر، خوف، زواج) كل تلك الوحدات المعجمية تقود إلى سمة (الاستسلام). فسعدية ضحية لجناة ظالمين فكل تلك السمات النووية تشير إلى التشاكل السيمولوجي الأعم وهو (الاستغلال والتملك) فالأزواج استغلوا طفولة / سعدية لبناء حياة جديدة والاستمتاع والتباهي بها. و في المقطع الأخير من الرواية نلحظ وحدات معجمية كـ(أعشاب، رفض، تمرد، ظلم، انتقام، موت، تحر) هذه الوحدات تشترك في سيمة نووية واحدة يمكن أن نطلق عليها مقاومة:(كثيراً ما كنت أشعر وكأنني ألمس سنوات أعمارهم يوما يوما أمسح عنها الغبار، إلى أن أصل لهم إلى الأرض حيث تكون رائحة النظافة تغلَّف ابتسامتهم .ألُبسهم على مهل ثم تنتشر برودة بسيطة تدفعهم إلى النوم في حضني بصمت إلى أن يأتي الموت.)[٦٠]. والتشاكل السيميولوجي لها يتضح في سياق الثورة والمواجهة. ولعل من السمات النووية المتكررة في النص التي تتعلق بهذا التشاكل هي التقابلية بين(الحرية و الاستعباد). فالثورة دافعها طلب الحرية بعد استعباد الأزواج طفولة سعدية واستغلوا ضعفها.

وفي مقاطع الرواية يتضح التقابل بين (الظاهر والباطن) جليًّا بعد تتبع الصور التشاكلية للأب. فهو في الظاهر يدفع بسعدية للزواج وهي لم تتجاوز الثالثة عشرة، محاولاً إقناعها بأن الزواج ستر لها من كلام الناس وأمان لها بعيداً عن ظلم زوجاته، في حين أن الباطن والحقيقة غير ذلك، فهو ضعيف الشخصية، منقاد لزوجاته، كما أنه يعلم يقينا أنه يظلم سعدية حين يزوجها من رجال كبار في السن. و تظهر سمة نووية أخرى في الرواية، ربما لها علاقة مبطنة بالمقطع الأول وهي (عدالة وظلم). فالنص في تواتر السرد يشي بهذه التقابلية، حيث الظلم يتمثل في صورة الأزواج والأب وزوجاته والمجتمع، في حين أن العدالة تتجسد في مساعدة الجواري لسعدية، وفي طلب سعدية للحرية والانعتاق من الأزواج .

٧. المربع السيميائي (النموذج العاملي)

هو"إحدى التقنيات التحليلية، التي تسعى إلى إظهار التقابلات ونقاط التقاطع بينهما في النصوص"[٦١]ويمتاز المربع السيميائي بأنه ذو طبيعة منطقية دلالية سابقة على كل استعمال مدلولي.[٦٢]، بل إن التقابلات الدلالية التي تواردت في الرواية تقودنا إلى الخطاب التشاكلي الدلالي. وقد أفضت القراءة إلى أن التقابلات الأكثر انتشارا في النص تمثلت في :

---

(٥٩) المرجع السابق ،ص ٩١ – ٩٢ .

(٦٠) الرواية ،ص ٨٨ .

(٦١) أسس السيميائية ،ص ١٨٦ .

(٦٢) انظر : السيميائية الأحوال والقواعد والتاريخ ،مجموعة فولفين ،ترجمة : رشيد مالك ،دار مجدلاوي ، الأردن ،ط١ ،١٤٢٨ هـ ،ص ٤٨ .

ضحية	جان
مقاومة	استلاب
حياة	موت
ضعف	قوة
تحرر	استعباد
مواجهة	استسلام
عدالة	ظلم
ظاهر	باطن
سعدية	الأزواج الستة

الأب

زوجات الأب

ولعل أبرز هذه التقابلات، التي يندرج داخلها البقية، كل حسب سياقه الدلالي ثنائية (ظلم وعدالة) ويمكن توضيح العلاقات المنطقية على الشكل التالي :

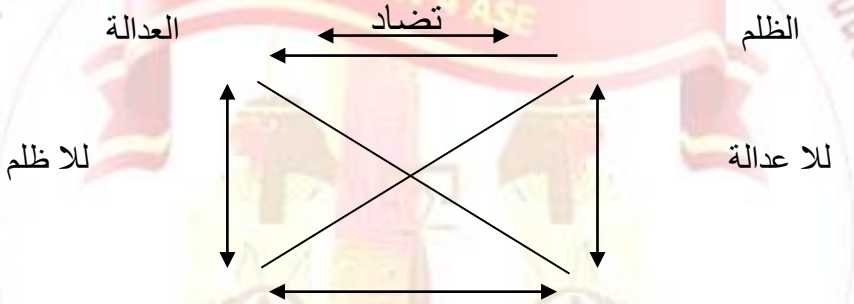

١ - علاقات تضاد : الظلم والعدالة .

٢ - علاقات شبه تضاد : اللا ظلم واللا عدالة .

٣ - علاقات التناقض : الظلم واللاظلم ، العدالة واللاعدالة .

٤ - علاقات التضمين : الظلم واللاعدالة ، العدالة واللاظلم .

ولقد قام متوازي الظلم والعدالة بوظيفة تأسيسية تنطلق معه بقية الثنائيات وسنركز على ثنائية التحرر والاستعباد. إذ يشكل محور التضاد (حرية - استعباد) محورا رئيسا لإنتاج التشاكل المركزي والوصول إلى خطاب الرواية عن طريق المربع السيميائي الثنائي الآتي:

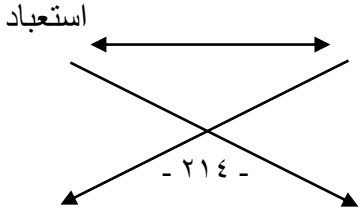

لا استعباد ⟷ لا حرية

يتضح أن سعدية تنفي(الاستعباد) لإثبات حريتها عبر اللاستعباد ويأتي هذا الانتقال على شكل مواجهات سلمية، إذ تتبنى فكرة تحويل أجساد أزواجها إلى أجساد جافة باستعمال الأعشاب السحرية في الشاي. وهكذا تحرر وتكسر عبودية الزواج القصري في كل مرة تُجبر عليه.

٨. مستويات التأويل :

يبدو واضحا أن الثنائيات التقابلية ولاسيما (التحرر والاستعباد) و(الظلم والعدالة) أنتجت خطابا ضمنيًّا خاصًّا بالرواية، تبناها النص ولكنها لجماليات السرد لا تظهر علنا، بل يضمرها النص، تاركا للقارئ مجالاً للاستكشاف والتنبؤ. هذا الخطاب الروائي يتمركز حول قضية اجتماعية كانت وما زالت موجودة وهي زواج القاصرات. فالرواية في بعدها الدلالي تنادي برفض زواج القاصرات، خصوصاً حين يكون هذا الزواج من رجال كبار في السن فهي تراه استلاباً للطفولة وحرمان من حقوقها .

وعلى **المستوى الاجتماعي** فالرواية تدعو لمنع هذه العادات الاجتماعية؛ لأنها تؤدي إلى الموت البطيء للفتاة. فها هي سعدية وإن كانت تملك الأموال إلَّا أن شبح زواجها المبكر ظل يلازمها حتى موتها، فالمال لن يعوضها شبابها و أمومة حرمت منها، ولن يعوضها حرمان الاستمتاع بأنوثتها والحياة بصورة أوسع :(أصبح عمري ستة وستين عاما، وثروتي ملايين كثيرة لم أكن أكترث بها...أبتسم في داخلي، أبني جدارا لا يسمح لأي ألم أن يصلني، ولكني بعد ذلك انهرت تماما، تملكني رغبة مرعبة في الحزن، وشعور كبير بالخراب، حياتي كانت تسير أمامي وأنا ألحق بها، لقد بقيت سنوات عمري الثلاثة عشرمعلقة حول رقبتي وتمنعني من الخروج منها رغم زواجي وكأنني في سجن.)[٦٣]

ولأن سعدية / البطلة فقدت طفولتها وفقدت معها جمال الاستمتاع بالحياة فكانت أشبه بالميتة من الداخل فإنها في النهاية تقرر أن تموت:(مرَّ أسبوع وأنا أغلق باب غرفتي من الداخل كل يوم، بعد أن أحتسي شراب الأعشاب، واضعة عرائسي على السرير وبعد أن تنتشر النشوة في أطرافي أتمدد على الفراش في انتظار اكتمال جفافي مع عرائسي الجميلات.)[٦٤]

خاتمة الرؤية:

- و في الختام اتضح أن خطاب الرواية ودلالاتها الضمنية لا ترفض فقط زواج القاصرات، وما يترتب عليه من مضار نفسية وجسدية، بل هي تشير بطريقة ضمنية إلى أن الأبوة ليست استغلالا للسلطة، فعلى الآباء الشعور بمسؤولية الأبناء وإلَّا فلا قداسة للأب. حيث نجد أن سعدية تقرر الانتقام منه بقتله مع أزواجها، كما يرفض خطاب الرواية الظلم الواقع من زوجات الأب، مشيرا من الباطن إلى أهمية العلاقات العائلية في بناء الإنسان السوي.
- وبالنظر إلى تفاصيل السرد نجد أن الرواية من باب ضمني –أيضًا- ربطت بين قضية تحرير

([٦٣]) انظر : الرواية ،ص ٨٧، ٤٧، ٦١ .

([٦٤]) الرواية ،ص ٨٨ .

العبيد و قضية زواج القاصرات. إذ بدأت الساردة / سعدية حديثها منذ نقطة انتشار السرد الأولى بذكر تفاصيل تحرير العبيد أيام الملك فيصل، فنجد أن المجتمع- بأمر ملكي عام ١٩٦٢م- استطاع التخلي عن استعباد الناس، ولولا هذا التشريع والتنظيم من سلطة إدارية حاكمة لما تخلى المجتمع عن استعباد الناس، ولأن الرواية تؤمن بأهمية القانون لحماية الناس، فإنها من طرف خفي تنادي بوضع قانون لزواج القاصرات، كما فعلت السلطة مع تحرير العبيد، فهذا هو الحل الجذري للقضاء على هذه العادات المتوارثة .

- كذلك فإن الراوي حين سرد حكاية سعدية وقسمها على (٦٢) مقطعا كان يشير إلى الرقم المرتبط بتحرير العبيد الذين حررهم الملك فيصل بأمر ملكي عام (٦٢) ، ومن هنا فإن الرؤية المركزية في الرواية تؤكد أن المجتمع لن يتوقف عن ممارسة هذه العادات الاجتماعية ما لم تشرع الحكومات قانونا و تسن تشريعات تحمي الأطفال من سلطة الآباء والمجتمع، كما فعلت مع تحرير العبيد.

Scientific Publishing Unit - Faculty of Women for Arts, Science and Education
SPU @ FW 4 ASE
وحدة النشر العلمي - كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

مصادر البحث:

- أحمد عبد الرزاق ناصر (سجالية القوة والضعف دراسة سيميائية في روايات عبده خال) مطبوعات كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك خالد، الرياض، ط١، ١٤٣٦،
- الأحمر: فيصل، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط١، ١٤٣١

- أشبهونه:عبد الملك، العنوان في الرواية العربية،محاكاة للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١١م
- البازعي: سعد، الرويلي: ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢
- بنكراد : سعيد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، سورية، ط٢ ، ٢٠٠٥ م
- ـــ السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات بورس. المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م
- ـــ (السيميائيات السردية) دار الحوار،سورية ، ط١، ٢٠١٢ م
- ـــ مدخل إلى السيميائيات السردية ، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط١، ١٩٩٤
- تشاندرير: دانيال ، أسس السيميائية ، ترجمة هلال وهبة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ م
- التعزي : عبدالله ، أجساد جافة ، دار كلمات ،الشارقة، ط١ ، ٢٠١٧ م .
- الجبوري : محمد ، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ١٤٣٥ هـ.
- حنون : مبارك ، دروس في السيميائية، دار توبقال ، الدار البيضاء، د. ط ، ١٩٨٧ م
- رولان: بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعيد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٤ ، ٢٠١٦ م
- شارلي : المصطفى ، السيميائيات نحو علم دلالة جديد للنص ، ترجمة : محمد المعتصم ، دار رؤية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٥ م.
- شقردوش: شادية ، سيرورة الدلالة وإنتاج المعنى قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر، مطبوعات كرسي الأدب السعودي، دار الجامعة، الرياض، ط ١،١٤٣٧هـ
- العجلاوي: محمد، النظريةوالمنهج في النقد والقراءةوتحليل الخطاب، دار الانتشار العربي، بيروت،٢٠١٦.
- العرابي : لخضر، المدارس النقدية المعاصرة، النشر الجامعي الجديد، المغرب، د.ط
- غريماس، الجبرداس ، في المعنى دراسة سيمائية، تعريب : نجيب غزاوي، مطبقة الحداد، سوريا، د. ط
- فضل : صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦
- القاضي: محمد ، ومجموعة باحثين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠
- كورتيس : جوزيف ، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ، ترجمة : جمال خضري ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ
- المالكي : عبد الحكيم ، استنطاق النص الروائي من السرديات والسيميائيات السردية إلى علم الأجناس ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٨ م
- مجموعة مولفين: السيميائية الأحوال والقواعد والتاريخ، ترجمة : رشيد مالك ، دار مجدلاوي، الأردن ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ
- مينو: محمد محي الدين ، معجم النقد الأدبي الحديث ، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ط١ ، ٢٠١٢ م.
- نوسي : عبد المجيد ، التحليل السيميائي للخطاب الروائي البنيان والتركيب والدلالة ، المدارس ، شركة للنشر والتوزيع ، المغرب ، ط١ ، ١٤٢٣م.

Scientific Publishing Unit - Faculty of Women for Arts, Science and Education
SPU @ FW 4 ASE
وحدة النشر العلمي - كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

Semiotics of Grabbing & Resistance in Novel "Dry Bodies"

Dr. Amal Bint Muhaisen al-Qathami
Assistant Professor of Literary Criticism - Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Taif University

Abstract: The purpose of narrative semiotics in dealing with the narrative text is enter deeply into the world of meaning and its interpretations and exegesis of textual structure not only in its abstract form, but also in what its units can arouse from particular interpretations. Furthermore, how we can benefit from all the narrative mechanisms and text techniques. This is the basis of this research in its analysis of the novel (Dry Bodies) by Abdullah al-Tazi from the rhetorical level to the narrative level, then the arrival to the deep level.

Keywords: Interpretation; Novel; semiotics; Narrative; Meaning:

Scientific Publishing Unit - Faculty of Women for Arts, Science and Education
SPU @ FW 4 ASE
وحدة النشر العلمي - كلية البنات للآداب والعلوم والتربية